آراء كبار الاطباء

في المبادرة الى العلاج

واثرها في سير المرض وشفائه

أصيب ابن سينا في آخر حياته بأحد الامراض المستعصية ، فحاول ان يعالجه بما أدّت اليه معرفته في علم الطب فلم يفلح ، ويئس من شفاء هذا المرض . فأهمل مداواة نفسه واخذ يقول : « المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير . والآن فلا تنفع المعالجة »

وفي كلام ابن سينا ما يدل على ان في جسم الانسان قوة تتولى شفاءه من الامراض . وحيثما كانت هذه القوة موجودة فان شفاءه لا بد حاصل . اما اذا تلاشت أو عجزت فأن المعالجة لا تجدي والدواء لا ينفع . ويؤيد ذلك ان كثيراً من المرضى يشفون يوميًّا بلا مساعدة الطب ، وان الجسم من تلقاء نفسه وبواسطة فعل هذه القوة الشافية يطرد المواد المضرة ؛ وان بعض هذه المواد المضرة تدخل جسم الانسان ؛ وتخرج من تلقاء نفسها او بما يحدث من التفاعلات الطبيعية داخل الجسم

وهنا نسأل هذا السؤال : هل تجب المبادرة الى معالجة الامراض من اول ظهورها أو تهمل هذه المعالجة ويترك الشأن للطبيعة ؟

وقد أردنا ان نستفتي بعض كبار الاطباء في هذا الموضوع ، وهم : حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشئون الصحية ، والدكتور علي باشا ابراهيم عميد كلية الطب والدكتور محمد بك عبد الحميد مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه ، وحضرة المفضال الدكتور عبد الرحمن شهبندر الطبيب والزعيم السوري ، والدكتور سليمان بك عنزي طبيب الامراض الباطنية بمستشفى قصر العيني . فتفضلوا واجابوا بما يلي :

الدكتور محمد شاهين باشا

« غير خاف ان جسم الانسان آلة معقدة التركيب اعدّت لتحتمل وتقاوم ما يحيط بها من عوامل الطبيعة السائدة في الكون — وصحة الانسان تتوقف على سير منتظم لعدة عمليات

مطردة ووظائف لو تعطل أداؤها او اضطرب نظامها لاصاب هذه الآلة الاختلال وافضى ذلك الى تنكب جادة الصحة وهذا ما اصطلح على تسميته بالمرض — ومن مستلزمات ظهوره وجود البيئة المهيئة لانباته من تربة ينمو فيها وبزور توضع في هذه التربة واستسلام من جانب الجسم — فالتربة هي الجسم والبزور هي الجراثيم او العوامل التي تفعل في الجسم فعلاً ضاراً ، واستسلام الجسم يحصل بسبب ضعف مقاومته — وبتوافر هذه العوامل الثلاثة يحدث تفاعل ورد فعل ينتأ عنهما المرض . اما هذه العوامل المُمرِضة فتتأثر الى حدٍّ بعيد بعدة مؤثرات اجتماعية وشخصية وخارجية وحتى اقتصادية

« وبناء على ما تقدم نرى وجوب معالجة المرض منذ اول ظهوره سواء بالعلاج النوعي ان كان معروفاً او بعلاج اعراضه او بمعاونة الجسم على مقاومة المرض واستئصال شأفة المؤثرات التي ألمعنا اليها وذلك لدواع اجتماعية وطبيعية . ففي الحالة الاولى يتيسر بتشخيص المرض عند بدء ظهوره درء خطر انتشاره في المجتمع لو كان معدياً — وفي الحالة الثانية يمكن مساعدة الطبيعة على القيام بعملها الشافي اما بتوليد اجسام مقاومة للمرض في جسم المريض او باخراج المواد الضارة منه سواء كانت غريبة عنه او متولدة فيه ذاتياً — هذا ودراسة المرض او اصلاح الانحراف عن الحالة الطبيعية او بذل النصح بما يجب اتباعه في كل خطوة من خطوات سير المرض هو من الوسائل المعينة على الشفاء ان لم تكن معجلة به فضلاً عن ان الاستعانة بها توفر على الجسم استنفاد مقادير وافرة من قواه التي هو في اشد الحاجة اليها في احوال شذوذه عن الحالة الطبيعية

« وغني عن البيان ان اغفال هذه الوسائل قد يأتي بمضاعفات للمرض لا تحمد عقباها فالعلاج في الواقع هو من قبيل تقليد الطبيعة في فعلها الشافي وامتلاك ناصيتها وانارة قواها الكامنة للقيام بمهمتها العلاجية »

الدكتور علي باشا ابراهيم

ان الطبيعة حارس ساهر امين ولهذا الحارس في الدفاع عن حرمه معجزات في كثير من الاحيان . لكن هذا الحارس قد يؤخذ احياناً على غرة وقد يشيخ ويهرم وقد يشتط في الدفاع عن حرمه شططاً يضنيه في النهاية فلا يكاد يظهر له في الميدان عدو جديد حتى يلقي تحت قدميه السلاح . . . . . . ووظيفة الطب والطبيب في هذه الاحوال جميعاً ان يشرف على هذا الحارس حتى يستجمع قواه ويحشد جنوده وان ينظم له خطط الدفاع ووسائل الهجوم وان يمده بالقوى ان خارت قواه

فاذا كان كثيرون من المرضى يشفون كل يوم بغير معونة الطبيب فكم من المرضى يتألمون

كل يوم في وحدتهم بلا مبرر وكم منهم يموت كل يوم وكانت حياتهم يتوقف خيطها الاخير على اصبع مؤاس يمتد له فيشده قبل ان يقطعه القضاء . واخيراً كم من الامراض كانت تهب على الدنيا عواصف عواصف فاتكة بالارواح فتك النار بالهشيم — وما زالت تنتظر غفلة الرعاة لتعيد تاريخها من جديد — فوقفت منها الطبيعة وقفة المتفرج ان انقذت من براثنها مريضاً تركت ألوفاً سواه جثثاً واشلاء واستطاع الطب والطبيب وحدهما ان يجعلا هذه الامراض مجرد ذكرى بشعة لتاريخ فظيع . أترى لو عشت يومئذ او قام اليوم مرض من هذه الامراض يأخذ بثأره أكنت تختار للدفاع عنك قواك العادية الطبيعية ام هذه القوى نفسها تعينها وتشد ازرها قوى الطبيب ؟

انه من السهل ان تسمي نفسك مريضاً حينما يصيبك زكام او جرح بسيط او حمى طارئة تلزمك الفراش بضعة ايام — واحياناً بلا مرض ! — واسهل من هذا ان تبرأ من مرضك بغير مساعدة احد فتنهض من فراشك لتضفر اكاليل المجد للطبيعة وتتقبل ببشاشة تهاني المهنئين . . . لكن في الدنيا امراضاً اخرى ان لم ترغم على التوسل فيها بالطب ليبرئك منها — وكثيراً ما يفعل — فلا اقل من ان ترغم على التوسل به ليخفف عنك عذابها وآلامها ويرد عنك غائلة ما وراءها من مضاعفات

ثم ما هذه الطائفة الكثيرة من الاجسام التي تدخل الجسم وتتركه من تلقاء نفسها ؟ ان القول بان جرثومة مرض تدخل الجسم وتغزوه ثم تتركه كما كان نظرية ان كان الطب القديم والاطباء القدماء قد أخذوا بها يوماً ما فجعلوا الامراض ارواحاً خبيثة تستضيفنا احياناً ثم ترحل فان تقدم العلم الحديث يرغمنا اليوم على ان لا نأخذ بها ولا نراها او نصدق ان بين جراثيم المرض جرثومة واحدة تنزل بيننا منزل الضيف الخفيف الظل ثم ترحل عنا كما نزلت بسلام

هذه الجراثيم كما يراها العلم اليوم اما ان تعصف بحياة مضيفها او تتركه لاحياً فينعم بحياته ولا ميتاً فينجو من عذابه او تمنحه القوة على ان يكون لعنة الناس واما ان تفارقه يوم تفارقه بعاهة مستديمة او عشر أشل أو قوى ناقصة يعيبها في المستقبل الحرب والكفاح فلأية غاية من هذه الغايات يرفع الطب والطبيب راية التسليم ؟ !

***

ان الطب يعجز احياناً كما تعجز الطبيعة نفسها حينما يبلغ الكتاب اجله لكن ليس معنى هذا ان يترك المريض للطبيعة وحدها تقرر مصيره كما تشاء . انها كما قلنا حارس ماهر لكن هذا الحارس يحتاج في اوقاته الحرجة الى قائد يرد جماحه ان جمح ويشد قواه ان خارت قواه وهذا القائد هو — وسوف يكون دائماً — الطبيب

الدكتور محمد بك عبد الحميد

« سئلت : هل تجب المبادرة الى معالجة الامراض من اول ظهورها بعلاج ناجع او يترك امرها للطبيعة تعمل عملها دون اعتراض سيرها ؟

« ولا شك ان هذا الاستفتاء من انسب ما تكتب فيه الجرائد والمجلات في الاحوال الحاضرة. في هذه الازمة الطاحنة الآخذة بخناق جميع الطبقات ، سواء أكانوا اغنياء ام فقراء ، افراداً ام جماعات ، شركات ام حكومات ، يجب ان يفكر الانسان في وسائل الاقتصاد والتوفير . وليس بعيداً ان يكون مما يفكر فيه الاستغناء عن الطبيب في احوال المرض اعتماداً على : —

١ — ان كثيرين من المرضى يشفون يومياً بلا مساعدة الطب

٢ — وان طائفة كبيرة من الاجسام تدخل انسجة للجسم الانساني وتخرج من تلقاء نفسها

٣ — وان الجسم من تلقاء نفسه يطرد المواد المضرة

« ولست ادري اي الفريقين اولى بالاهتمام بهذا الموضوع ؟ أفريق المرضى ام فريق الاطباء ؟ ذلك لان امر التداوي يكاد يكون ميسراً لكل مريض في مصر كيفما كانت حالته. في عصر حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد المعظم حفظهُ الله تعالى وبهمة حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد باشا شاهين وكيل الداخلية للشؤون الصحية قد كثرت المستشفيات وتعددت انواعها . من مستشفيات قروية في كثير من القرى ، الى مستشفيات مركزية في عدد عظيم من المراكز ، الى مستشفيات في بنادر المديريات ، الى مستشفيات في ثغور البلد ، الى المستشفيات الكبيرة التي في عاصمة القطر ، الى مستشفيات الرمد ، والانكلوستوما والبلهارسية ، الى مستشفيات رعاية الاطفال ، الى مستوصفات للامراض الصدرية والسرية ، الى مستشفيات وزارة الاوقاف ومستوصفاتها . فهذه كلها مفتوحة الابواب يدخلها المرضى بسلام آمنين . ويتولى علاجهم فيها الاطباء بكل لطف ورفق وعناية لا يريدون منهم جزاء ولا شكوراً . فان الحث الضائقة المالية على انساق وآتة في نواحي المعيشة المختلفة من مسكن وملبس ومأكل وغير ذلك فامرها هين يسير من ناحية التداوي والمعالجة بفضل المستشفيات وكثرتها والعناية فيها . اما الاطباء في هذه الازمة فيخيل اليّ انهم ادنى تأثراً بها من غيرهم بسبب اقبال المرضى على المستشفيات . ومما زاد في الطين بلة ارتفاع اثمان الادوية ارتفاعاً يشق على النفس في اوقات الرخاء فكيف به في هذا الزمن العصيب . ولذلك ترى اعمال الاطباء في عياداتهم الخصوصية في كساد . ولولا انهم يشاهدون المرضى في المستشفيات لزعموا ان المرضى قد قاطعوهم او ان الامراض قد قطع دابرها . ولأتكلم على الاركان التي بني عليها الاستفتاء واحداً فواحداً

« فاما الركن الاول وهو شفاء كثير من المرضى يومياً بغير مساعدة الطب فلا انكره وهب كما يقول بعضهم ان نسبة الامراض التي قد تشفى شفاء ذاتياً من تلقاء نفسها بغير مساعدة الطب تصل الى تسعين في المائة من جملة الامراض . بل هبها تصل الى اكثر من ذلك أفتظن ان التطبيب يقل شأنهُ اذا كان سبباً في انقاذ ما يمكن انقاذه من البقية الباقية ؟ واني لأذكر اني قرأت في احدى المجلات الطبية ما يزيد كلامي في هذه المسألة وضوحاً . ذلك ان القوم في امريكا ينادون بضرورة الرقابة الفنية لمنع انتشار السل في طلبة الجامعات اي في سن الشباب وهي السن المعرضة للسل مما يتم باختبار الطلبة قبل دخولهم الجامعة بالتيوركلين (وهو طعم السل) والنتيجة السلبية لهذا الاختبار تدل على سلامة الطالب من السل وانهُ مأمون الجانب . اما اذا كانت النتيجة ايجابية فلا بد من التمادي في الاستقصاء حتى يتبين ان تلوث الطالب بميكروب السل لم يصل الى درجة الخطر على نفسهِ او على غيره من مخالطيهِ . وقيل إن نفقات هذه الطريقة لا تكلف اكثر من دولارين لكل طالب . وقد وجدوا انهم بها يتمكنون من انقاذ طالب من كل ٥٠٠ طالب . واذكر ان الكاتب قال ما معناه اذا كان انقاذ الطالب لا يتجاوز نحو الالف من الدولارات فليس من العبث الاستمرار على هذه الطريقة

«ولعل ادنى الامراض الى الشفاء شفاء ذاتياً هي الامراض المعدية التي أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً لان الاطباء يومئذٍ لم تيأس[1] طرق انتشارها ، ولا سبيل اتقائها ، فكان اذا حلَّ الوباء وافداً في بلد من البلاد تعادى القوم وتقاذعوا ؛ ومات بعضهم إثر بعض ، وكنت تراهم لا يفرغون متدافنين . اما الآن فقد تبدلت الحال غير الحال ، واصبح بفضل تقدم الطب ، في وسع الطبيب ، لو ادرك المريض وهو في الدور الاول من المرض ان يدرأ عنهُ مختلف المضاعفات التي قد تطرأ عليهِ وتكون سبباً في هلاكه ، وان يعطل اشتداد المرض الى اقاربه وذويه ، وأن يمنع انتشاره في قريته وبلدته . نعم اصبح الآن في وسع الطبيب ان يفعل ذلك كله فيدفع همّاً واغلالاً وخطراً داهماً يحصد النفوس ويترك البلاد قاعاً صفصفاً كما كانت تفعل الاوبئة الى عهد ليس ببعيد . ولو لم يكن للطبيب غير هذه النتيجة الباهرة من اعتراضه سير هذه الامراض في اول امرها لكفتهُ شأناً وفخراً

« وهناك فئة من الامراض المستعصية ، وقاك الله شرها ، تجعل صاحبها في الم شديد مستمر مما يدفعهُ الى طلب الموت او استقباله بكل سرور وهنا يكون عمل الطبيب تخفيف الآلام ، وتسكين الاوجاع . ولا ادري ماذا تكون حالته لو ترك امره للطبيعة تفني حياته (بالقطاعي) تدريجاً فناء بطيئاً قاسياً يفتت الاكباد

(١) اي تيأس

« واني وان كنت لا انسى فضل الطبيعة فيما تساعد به الجراح في وقف النزف ولأم الجرح وغير ذلك الا اني لا ادري كيف تحيي الشفاء بغير ان يماشيها الجراح في سيرها بفتح الاخرجة وربط الاوعية وخياطة الجرح مما يسهل على الطبيعة عملها ويكمله . وربما كانت الامراض الجراحية المختلفة كالتشوهات والاورام والكسور والخلوع والالتهابات والجروح والقروحات والحصيات الكبدية والبولية وغيرها من احوج الامراض الى رشاقة يد الجراحين من الاطباء وأقلها استقلالاً عنهم فلا يمكن ترك امرها للطبيعة

«وأما الركن الثاني فصحيح فكم من طفل بلع جسماً غريباً صغيراً وخرج من تلقاء نفسه، وكم من مادة غريبة دخلت او أدخلت في الانسجة فتخلص منها الجسم اما بامتصاصها ، واما بطردها واما بتكيسها .على ان التقيض صحيح ايضاً فكم من ابرة او دبوس دخل في الجسم واقتضى عناء شديداً لاستخراجه وكم من رصاصة دخلت فأتلفت فكان لا بد من الجراح في التوسط

« وأما الركن الثالث فصحيح ايضاً كما اذا تناول الانسان شيئاً مضراً كمادة سامة فان الجسم يطردها من تلقاء نفسه بما يحدث عنها من القيء والاسهال ، لكن الاغلب ان يمتص الجسم جانباً منها قبل طردها . ولذلك يحسن ان يبادر الطبيب بغسل المعدة مثلاً لاستخراج المادة السامة قبل ان تمتص وتفوت الاوان

***

«بقيت لي كلمة ارجو ان يسمح لي حضرة الاستاذ المستفتي ان اهمس بها في اذنه مداعباً او معاتباً:

« الم يكف الاطباء انهم مهضومو الحقوق من الامة شعباً وحكومة الم يكفهم ان مصلحة الصحة قد ضيقت عليهم ارزاقهم بالاكثار من المستشفيات المختلفة قبل الازمة ، ثم حلت الازمة فزادت في الطنبور نغمة

«الم يكفهم انهم بالرغم من ذلك كله لا يألون جهداً في اداء ما عليهم من الواجبات بقلوب صابرة مطمئنة ونفوس قرحة مستبشرة

«الم يكفهم ذلك حتى زدتهم فجئتهم تستفتيهم في امر الاستغناء عنهم؟ ! اتترك الامراض وشأنها!!

« ولكن حسبهم ان يكون من اسرهم مثل جنر مكتشف التطعيم بالمادة الجدرية فأفاد الانسانية حتى لقد قال بعضهم ان مبضع جنر انقذ من النفوس اكثر مما اهلك سيف نابليون وحسبهم ان يكون منهم مثل لورد لستر الذي ابتدع مبادىء الطهر والتطهير — العقم والتعقيم — ونشر هذه المبادىء فعم بها الخير على الانسانية المعذبة حتى ليمكن ان يقال ان بهذه المبادىء انقذ من الناس اكثر مما اهلكت الآلات المدمرة في الحروب من المدافع والقنابل والطيارات والغواصات لكن حسبهم الله ونعم الوكيل»

الدكتور عبد الرحمن شهبندر

«انهم من كلمة «علاج ناجع» في سؤالكم انهُ علاج متى اعطي لمريض ازال المرض منهُ . فبديهي والحالة هذه ان يكون الواجب الاول على الطبيب (او الجراح) ان يعالج مرضاه من الساعة الاولى بمثل هذا العلاج اذا تيسر وجوده لان انتظار الطبيعة لتعمل عملها يكون اضاعة للوقت في اكثر الاحيان واعتماداً على قوة عمياء قد تحول الشيء البسيط الى مركب والطفيف الى خطير . والطبيب الذي ينتظر الطبيعة لتشفي مريضه من البرداء — الملاريا — مثلاً بدلاً من اعطائه الجرع الكافية من الكينا لقتل الجرثومة وهي في المهد قبل ان تحدث تغيراً في النسجة الجسم مثلهُ كمثل ذاك المهندس الزراعي الذي فتح ثغرة من نهر دجلة في بغداد في وقت الفيضان منذ خمسين سنين لري بعض الحدائق توفيراً لبضعة جالونات من البترول يحرك بها مضخته فكانت النتيجة ان حدث طوفان في عاصمة العراق كلفها مئات الالوف من الجنيهات ولولا السدود الصناعية التي احاطت بمدخل المدينة ما تركت الطبيعة داراً قائمة هناك

« ولكن من سوء الحظ كثيراً ان ليس لجميع الامراض علاج ناجع . ويمكننا ان نقيس تدرج المدنية بما اوجدتهُ من العلاجات الناجعة منذ اتخذ الانسان الهمجي منقوع الشيح مقيئاً في عسر الهضم والكي مبرداً للآلام الموضعية والسمن المغلي مطهراً للجروح الى ان اهتدت كونتس شنشون في بلاد البيرو الى فائدة شجر الكونا في علاج البرداء والمورد لستر الى المطهرات في محاربة الجراثيم واستكشف باستور تلقيح الكلب وبهرنغ اتمام مصل الدفتيريا وارليخ مركب الزرنيخ المشهور في علاج الزهري وبانتنج الانسولين في الديابيطس وهوبيل فعل التغذية بالكبد في فقر الدم وغير ذلك من الوسائل الناجعة التي لا يتسع لها هذا المقال والتي يعد اغفالها في ساعة الحاجة اليها جناية فنية لا تغتفر

« انني لا انكر ابداً ان علاجاتنا الناجعة محدودة وهي تدعى في الاصطلاح علاجات نوعية يعني انها خاصة بشفاء امراض معينة وهي ويا للاسف ليست على نسبة ما استكشف من الامراض حتى الآن . فقائمة هذه الامراض طويلة عريضة قد تحدث قراءتها التخمة العقلية وقائمتها قصيرة ناقصة تترك كل زيادة للمستزيد . وهذا الفرق الجلي كان اشد ظهوراً في القرن التاسع عشر منذ البحوث التي اجراها (لينيك) في مرض السل الى ان قام (ترخو) وابان علائق الامراض بالتغيرات النسيجية في الاعضاء ثم ما ظهر بعد ذلك من علم الجراثيم وفتكها فكانت الامراض بحراً خضماً وكانت ادويتها وشلاً تافهاً . لا جرم ان يقف الطبيب يومئذٍ مبهوتاً خائر القوى فيعترف بملء قلبه بأن الامراض — الا النذر القليل منها — لا علاج لها وان يعتمد على الطبيعة في جميع مواقفه شأن (جون ستوارت مل) وزملائه من الاقتصاديين

والاجتماعيين الذين رأوا تعقد الموضوعات التي طرقوها وسعتها التي لا حد لها وعمقها الذي لا قرار له ورأوا من الجهة الاخرى بلادة المجتمع واستسلامه ومرّته وتعلقه بالقديم لانهُ قديم فقالوا كما قال بعض من سبقهم بمذهب Laissez faire بأوسع معانيه وهو « دع المقادير تجري في اعنتها » ولا تتدخلن بها فتفسدنها برأيك المعكوس . ولكن الذي حدث في غضون الستين أو السبعين سنة الاخيرة من الاصلاحات الفائية الاختبارية في ميدان الاقتصاد والاجتماع يجعل مثل هذا الرأي في التعليل كما قالت دائرة المعارف البريطانية ناقصاً الى درجة مضحكة . وهذا الحكم القاسي على جميع نظرية « دعها معاوية » ليس باقل انطباقاً منهُ على نظرية العدميين او النهلست في الطب والعلاج

***

« لقد انقرض مذهب الجبريين في الاقتصاد والاجتماع وحلت محله تجارب العلاج الاقتصادي الاجتماعي وكذلك انقرض مذهب العدميين في الطب والجراحة وحلت محله تجارب العلاج النوعي والطبيب الذي ينتظر الطبيعة لتقضي على جرثومة الدفتيريا وطردها قبل ان يسعف مريضه بالمصل هو جانٍ في نظر العلم مثل الجراح الذي ينتظر ظهور الحد الفاصل في الغرغرينا المعدية المنتشرة الحادة قبل ان يبتر العضو الميت

***

«لكن هذا الكلام لا يقلل من قيمة الطبيعة ولا يعني بوجه من الوجوه اننا لا نعتمد عليها في اتمام اعمالنا خصوصاً في الامراض التي لم نهتد بعد الى استكشاف علاج ناجع لها وقد تكون الطبيعة معولنا الاساسي في بعض الامراض كالسل مثلاً على رغم جميع الاعلانات التجارية عن ادويته النوعية بما فيها التيوبركلين واملاح الذهب الوهاج من السانكريسين الى السولجونال فالالوكريسين ولا تزال القواعد الثلاث التي يرتكز عليها علاجه الى هذه الساعة قواعد طبيعية من هواء طلق وراحة ممكنة وغذاء مشبع

***

« الا اننا اذا عملنا قائمة بالادوية النوعية وتاريخ استكشافها وجدنا السير بطيئاً في اول الامر وسريعاً سرعة خارقة في الآخر بما يتمشى مع سائر ابواب العلم التجريبي . وتلاحظ هذه السرعة خاصة في علم الجراثيم ولا نبالغ اذا قلنا ان الطبيب القادم سيكون مسلحاً بالعلاجات الناجعة لمعظم الامراض مما يغنيه عن انتظار الطبيعة كثيراً ويحقق امنية العلماء اليوم من جعل الاصلاحات الجسدية والعقلية والاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية غائية تخضع لارادة العلم لا خلقية تتوقف على القوى الشاذة التي لا ضابط لها

الدكتور سليمان عزمي

« انني من الذين يقولون بأنهُ لا بدَّ من علاج الامراض من اول ظهورها . لان الطبيب لا ينسى ان واجبه حسب المثل الانكليزي : « اجتهد ان تمنع المرض ؛ وان لم تستطع فاشفه والاَّ فخفف آلام المريض او واسهِ » . ثم انهُ لا يخفى ان المرض اذا قام الطبيب بمعالجته منذ اول ظهوره قد يدرأ بذلك خطراً يتعرض له المريض اذا اهملت معالجته من اول الامر، ويدفع ما قد يصيب المجتمع من جراء هذا المرض اذا كان معدياً

« ومن جهة اخرى فان ارشادات الطبيب ومراقبته لسير المرض يجعله يسير سيراً طبيعيًّا حميد العاقبة لان المشاهد دائماً ان الامراض التي يبادر بعلاجها تنتهي الى الشفاء بسرعة دون غيرها مما يهمل علاجها وتؤدي الى حدوث مضاعفات او عواقب سيئة

« واذا سلمنا بأن كثيراً من المرضى يشفون يوميًّا بلا مساعدة الطب ، فان شفاءهم في اعتقادي يكون ظاهراً كما يبدو لغير الاطباء . والغالب ان الامراض تترك عندهم مضاعفات تحتم ان تتخذ الاجراءات الفعالة لمداواتها

« وان نسبة الذين تحدث لهم مضاعفات ممن يعرضون انفسهم على الاطباء من اول اصابتهم اقل بكثير من نسبة الذين لا يعرضون انفسهم الاَّ في منتصف المرض او الذين يهملون انفسهم اهمالاً

« اما ان الجسم من تلقاء نفسه يطرد المواد المضرة . فذلك ما يسمى بقوة المقاومة في جسم الانسان ولكن قد لا تكون قوة المقاومة كافية . ويحتاج الجسم الى مساعدة الطبيب وحينئذٍ اذا اهمل استدعاء الطبيب ادّى الى وقوع المريض في الخطر . ولما كانت قوة مقاومة الامراض مجهولة للمريض فيجب عليه من اول ظهور اعراض المرض ان يسرع الى استدعاء احد الاطباء

« ولا اتوسع في هذا الموضوع ، واقول لك ان بعض الامراض كالدفتريا او التيفوس اذا لم تتخذ لها الاجراءات الواقية من اول ظهور اعراضها ، فانها تصبح كالطاعون والكوليرا . هذا مع تسليمي بأن الانسان طبعاً يتخذ من قوة مقاومة الجسم سلاحاً لمقاومة الامراض في بعض الاحيان ، ولا يركن الى الادوية الاَّ عند الضرورة

« واما ان بعض المواد المضرة تدخل جسم الانسان وتخرج من تلقاء نفسها او بتفاعل طبيعي داخل الجسم ، فهذا جائز ، ولكن لو صادف ان هذه المواد كانت ملوثة بميكروبات عدوى شديدة فاذا تكون الحال ؟ تكون إما التسمم الصديدي او التتنوس أو غير ذلك

« ومن هذا ترى انهُ لا بد من عرض المريض على الطبيب من اول ظهور اعراض المرض حتى يأخذ احتياطاته وينقذ المريض من المرض ، بل يدفع عن المجتمع خطراً قد يصيبه اذا كان من الامراض المعدية »